جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في النص النثري القديم

د. ابتسام دهينة

مفردات المحاضرات:

1- **أدب الترسل**
2- **الحكاية في كليلة ودمنة**
3- **فن المقامة**
4- **أدب الرحلة**

تسعى المادة إلى تعريف الطلبة بأهم ظواهر النثر بدءا بالعصر الجاهلي إلى العباسي، والوقوف على أهم موضوعاته مثل : الخطابة ، الأمثال والحكم، فن الترسل ،الحكاية في كليلة ودمنة، السرد في ألف ليلة وليلة، المقامات، أدب الرحلة..وتدرب المادة الطلبة على قراءة النص النثري القديم وفهمه وتحليله من خلال التفاعل مع أبرز هذه الموضوعات وأبرز مفاتيح تأويلها وتفسيرها.

- تقدم المادة صورة موجزة عن فنون الشعر العربي في العصور التي تلت العصر الجاهلي بدءا بصدر الإسلام، وتركز المادة على عدد من المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بهذه الحقبة.

وذلك لتحقيق الأهداف الآتية:

1-تقديم صورة واضحة عن الأدب نثرا في عصر ما قبل الإسلام.

2-إبراز أهمية النثر وموقعه في الحياة العربية الجاهلية.

3-الوقوف عند أهم فنون النثر الجاهلي والذي تبعه في العصور اللاحقة، وموقف القدامى والمحدثين منها.

4-عرض نماذج من النثر الجاهلي وقراءتها وتحليلها.

أساليب تدريس المادة:

- محاضرات:إلقاء من قبل الأستاذ والطالب يتلقى
- الأعمال الموجهة: مبادرات الطلبة لإثراء وإغناء محتويات المقياس من خلال مناقشات، والتمارين، وإعداد الأعمال المكتوبة وعرضها، وذلك بالإفادة من المكتبة والعودة للمصادر والمراجع المطلوبة، مراجعة بعض المواقع الإلكترونية المرتبطة بالأدب العربي القديم.

النتائج المرجوة من تلقي المحاضرة:

1-المعرفة والفهم

1. أن يعرف الطالب المقصود بالنص الأدبي القديم نثرا.
2. أن يكون قادرا على فهم نصوص مختارة من النثر الجاهلي ، ثم ما ليه من عصور تأتي بعده
3. أن يناقش الطالب أهم قضايا النص النثري القديم،وما لحقها من تغيرات عبر العصور
4. أن يتعرف الطالب على آراء القدماء والمحدثين في بعض ظواهر النص النثري القديم وقضاياه.
5. أن يفهم الطالب عددا من المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بالعصور الأدبية .

2. مهارات الإدراك ومحاكاة الأفكار:

1. أن يدرك الطالب مزايا النص النثري وخصائصه الموضوعية والفنية.
2. أن يتدرب الطلبة على تحليل النصوص النثرية وربطها بالحياة العربية في العصور القديمة.
3. أن يقارن الطلبة بين أعلام النثر الجاهلي وأساليبهم واتجاهاتهم.ثم المقارنة بما جاء في العصور التي جاءت بعد الإسلام.
4. أن تزيد الحصيلة اللغوية والتعبيرية والأدبية للطلبة من خلال الخبرة في النصوص الأدبية المتقدمة.
5. أن يتذوق الطالب النص القديم ويسبر أغواره.

3. مهارات الاتصال والتواصل الأكاديمي (مع المصادر والأشخاص):

1. أن يتدرب الطلبة على التعامل مع النصوص والمصادر التراثية.
2. أن يتعامل الطلبة مع مكونات المكتبة المتعلقة بالأدب القديم ومواقع إلكترونية مختارة.

4 مهارات عملية خاصة بالتخصص والمهنة ذات العلاقة

1. أن تتطور مقدرة الطلبة على استعمال اللغة في البحث والمناقشة وتقديم العروض.
2. أن تتوسع خبرة الطالب في تحليل النصوص الأدبية وتذوقها وتفسيرها.

محاضرة أدب الترسل

فن الترسل أسلوب من أساليب النثر لمخاطبة البعيد، وقد نطور هذا الفن وازدهر في العصر العباسي ، وذلك بسبب تعقد أمور الدولة وتشابكها.فكانت حاجة الدولة إلى كتاب يتقنون هذا الفن ، لتعيينهم في الدواوين بأنواعها المختلفة، هذا ما دفع الكتاب إلى التنافس فيما بينهم محاولة منهم في التفوق في الكتابة وإتقان أصولها.

الترسل في اللغة:

ترسل في قراءته إذا اتأد وتمهل وتوقر فيها أو رتلها، والترسل في الكلام ،التوقر والتفهم، والترفق من غير أن يرفع المرء صوته شديدا. والترسل في القراءة والترسيل واحد وهو التحقيق بلا عجلة،وهذا ما ورد في كتاب البرهان في وجوه البيان لابن وهب [1].فيقول:" أنا (مترسل)ولا يقال ذلك إلا فيمن تكرر فعله في الرسائل، ويقال لمن فعل ذلك مرة واحدة(مرسل)والاسم رسالة"[2] ، فالترسل جاء بمعنى الاكثار والتفرغ لهذا الفعل /فعل الكتابة بالمشاركة بين الطرفين، وهذا ما يكون عادة في تسيير شؤؤن الحكم آنذاك. والترسل مصدر أنشأ رسالة، وأيضا بمعنى أتى كلامه مرسلا غير مقيد بقافية أو سجع، وهو فن إنشاء الرسائل.

وفي لسان العرب وردت الكلمة بمعنى:1- رسل الرسل أي القطيع من كل شيء، والجمع أرسال..والرسل الإبل قطيع بعد قطيع، والإرسال التوجيه[3] ،وقد وردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى**چﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ چ**[4]، وقد وردت في قوله تعالى: **چﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮛ ﮜ ﮝ ﮞ**

1 - ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، :البرهان في وجوه البيان،.ص192

2 - المرجع نفسه، ص152-153.

3 -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1997، مادة رسل.

4 - مريم،83.

گں ں ڈڈ ڈ ڈ ۂ ۂہ چ فكلمة رسل جاءت بمعنى التسليط و التوجيه[1] ، و "استرسلت إلى الشيء إذا انبعثت نفسك إليه وأنست، والمرسلات الرياح"[2] وتحمل دلالات متعددة بحسب السياق.

المعنى الاصطلاحي: لفظة الترسل قديمة في جذورها وهي مرتبطة في الأساس بعملية التدوين وبوجود الخط والكتابة فلا يمكن لأي إنتاج شفوي أن يبقى ويخلد إن لم تكن هناك كتابة وتدوين*و توضحت معالمها في القرنين الرابع والخامس الهجريين*، بمعنى كتابة الرسائل وبالتالي كانت أقدم إشارة صريحة إلى هذا الاستعمال بهذا المفهوم الاصطلاحي ومن ذلك ما ورد عند ابن وهب في القرن الرابع الهجري كما سبقت الإشارة.أما في القرن الخامس الهجري فقد دل المصطلح على كتابة الرسائل، وهذا ما ذكره المرزوقي"الترسل هو كتابة الرسائل، إذا كان مورده على أسماع متفرقة من خاصي وعامي، وأفهام مختلفة من ذكي وغني، وللمترسل أمور لابد مراعاتها منها تبيين مقادير من يكتب عنه وإليه حتى لا يرفع وضيعا ولا يضع رفيعا، وان يعلم أوقات الإسهاب والتطويل، والإيجاز والتخفيف فقد يتفق ما يحتاج فيه إلى الإكثار حتى يستغرق في الرسالة الواحدة أقدار القصائد الطويلة ويتفق أيضا ما تغني فيه الإشارة ويجري مجرى الوحي في الدلالة"[3]، والرسائل في منشئها أنواع: الإشارية، والشفوية والكتابية.

1-الإشارية: وهي تلك التي تقوم على لفت لانتباه بالإيماءات قديما ، وحتى الآن كإشعال النار وهو اتفاق مسبق بين الطرفين المرسل والمرسل إليه، وتعد النار خاصة ليلا من أهم الرسائل البصرية، ولذا كان أشراف العرب وأجوادهم يسوقدون نارا هداية للساري ليلا وتسمى نار القرى[4]كرسالة دعوة للسارين ليلا من أبناء السبيل ليتوقفوا للضيافة.

والنوع الثاني من الرسائل يتمثل في الرسائل الشفوية: وظهر قديما تحديدا لتفشي ظاهرة الأمية وغياب ظاهرة التدوين والكتابة إلا في القليل النادر، ومن هنا اتسعت حفيظة الجاهلي فاشتهر بسرعة البديهة والحفظ والرواية خاصة في مجال الشعر وفي ذلك يقول أحمد زكي صفوت:"إن جمهرة العرب في ذلك العصر كانت متبدية، فلم تكن الكتابة فيهم فاشية، ولذا كانوا يعتمدون في مراسلهم على المشافهة"[5]، ولكن الشفاهة وحدها لا تكفي خاصة في مجال النثر فكان لابد من الكتابة والتدوين ، ومن هنا تبدى النوع الثالث من الرسائل وهو الكتابية أو التدوينية.

الرسائل الكتابية:وهو النوع الذي ترعرع فيه فن الترسل وازدهر اتكاء على الكتابة وأسسها وظلت تتوارث جيلا بعد جيل تتسم بطابع التداول والذيوع، وهذا ما أسماه صفوت زكي في كتابه بجمهرة أشعار العرب.

---

[1] - الفيروز أبادي،القاموس المحيط،ضبط يوسف الشيخ محمد البقاعي،دار الفكر، بيروت،ط 1،2003،ص905

[2] - ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2،ص392-.393

[3] -المرزوقي، شرح ديوان الحماسة،ج1،ص18.

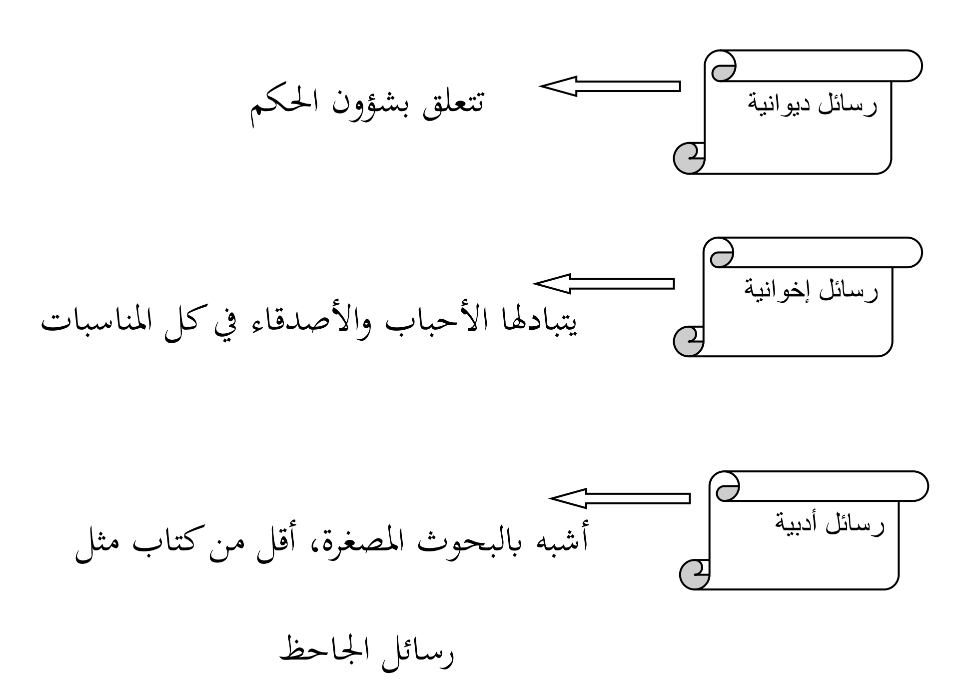
[4] - المقداد محمود، تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية،ص 122.

[5] - صفوت أحمد زكي:جمهرة رسائل العرب،ج1،ص7

الترسل إذن هو ترجمة ما يدور في الذهن من كلام وترجمته إلى كتابة، سواء أكانت على شكل شذارات شعرية أم نثرية وهذا يقودنا إلى أصل الرسالة ونثريتها فقدامة يرى:أن الترسل صناعة ومهنة لا يحترفها إلا من رسخت قدمه في الأدب وكان صناعة فضلا عن الصفات كالصدق والنزاهة والإخلاص وما إلى ذلك...ولا يقال ذلك إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر"[1].

والترسل في الأدب نوع مشترك بين وجهي الأدب الشعر والنثر، وهذا ما بينه ابن طباطبا حينما بين أن الشاعر يسلك" منهاج أصحاب الرسائل في بلاغتهم وتصرفهم في مكاتباتهم فإن للشعر فصولا كفصول الرسائل"[2].

.والرسائل أنواع:الديوانية، و الإخوانية، والأدبية[3].



شروط الكاتب:

يرى ابن خلدون أن الرسالة هي لسان القوم تعبر عن مقاصدهم[4]دون الإشارة إلى نوع الرسالة ،على أساس أن الرسالة قطعة نثرية تنهض بشؤون الدولة الإسلامية وفقا لشروط تشترط في كاتب الرسالة يجب أن تستوفى لتتم عملية التواصل، وذلك بأن صاحب هذه الخطة"لابد أن يتخير من طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة ، فأنه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك، ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع تدعو إليه عشرة ملوك من القيام على الآداب والتخلق

---

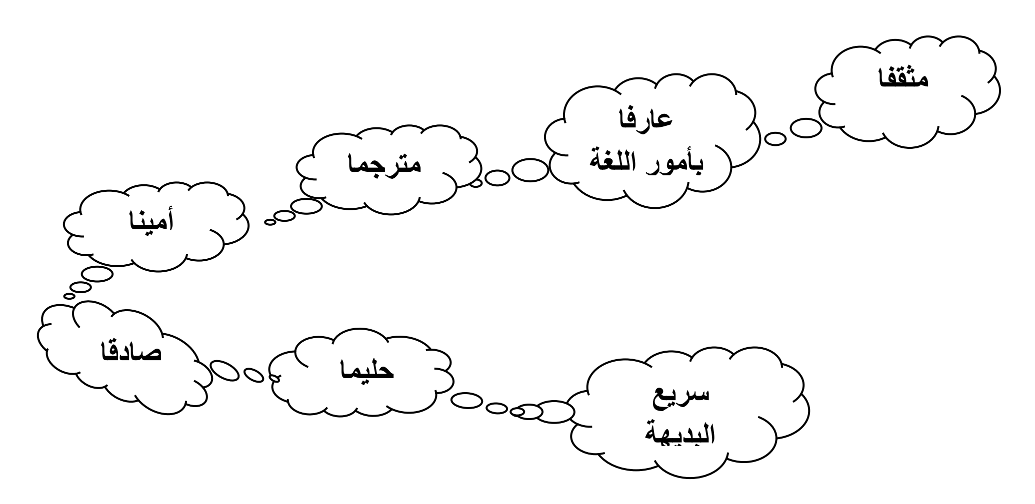
[1] - قدامة بن جعفر: نقد النثر، تح طه حسين، دار الكتب المصرية،دط، ص09.

[2] - ابن طباطبا، عيار الشعر، تح طه حجازي، ومحمد زغلول سلام، القاهرة، 1956، ص5.

[3] - شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي، في العصر الإسلامي، ص129-136.

[4] - ابن خلدون، المقدمة ، ج1، عبد الله محمد الدرويش ط1، 2004، دار يعرب دمشق) ص429

بالفضائل مع ما ينظر إليه في التراسل وتطبيق ،مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها"[1]. فيتوجب عليه إذن أن يكون مثقفا، ملما بثقافة عصره، عارفا بعلوم اللغة العربية والإسلامية، والعلوم المترجمة، عالما بأمور الحساب إذا كان في ديوان الخراج، أو بأمور الفقه إذا كان في ديوان الزكاة، أمينا كاتما للسر، صادقا، حليم الصدر. سريع البديهة.



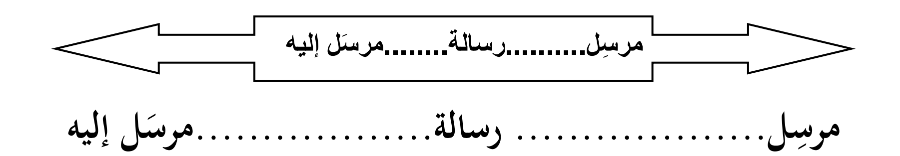
شروط الرسالة: يتوجب في الرسالة أيا كان نوعها ودافعها مايلي:

- البساطة والبيان: أن تكون خالية من التكلف بعيدة عن غريب الكلام، واضحة العبارات بينة الألفاظ .
- الإيجاز عدم الإسراف في القول، لأن الإطالة تخرج صاحبها عن غرضه المقصود من الرساله.
- الملائمة : ونقصد بها مراعاة منزلة المرسل إليه ودرجته ومعرفته، وذلك بتخير الأسلوب الملائم لمكانة المرسل إليه ودرجته ومعرفته.
- جودة التعبير: ونقصد به أن لغة الرسالة تختلف عن الكلام العادي ، فنلمس فيها اسمالة وتأثيرا، ووقع جمالي أيا كان نوع الرسالة.

البناء الفني للرسالة:

[1] -المرجع نفسه،ص 247.

1- **عناصرها:**



مرسِل................... رسالة..................مرسَل إليه

2- **البناء**: تتكون الرسالة من افتتاح أو مقدمة، ثم الغرض أو نص الرسالة ، ثم الخاتمة

الافتتاح:غالبا ما تفتتح بالبسمة والتحميد ، والصلاة على المصطفى عليه الصلاة والسلام،أو بالدعاء للمرسل إليه وتعداد مناقبه، ثم **المقدمة**.

نص الرسالة: وهو فصل الخطاب ويتضمن الباعث الذي أرسلت من أجله الرسالة.

خاتمة:ويختم الكاتب رسالته بطريقة مماثلة للمقدمة .

وفي العادة توشح الرسائل بذكر آيات من القرآن الكريم وبعض الأحاديث للنبي عليه الصلاة والسلام، وكذا الشواهد الشعرية التي تخدم موضوع الرسالة .

نموذج من الرسائل: رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتاب:

أما بعد ، حفظكم الله ، يا أهل هذه الصنعة وحاطكم ووفقكم وأرشدكم ، فإن الله – جل وعز – جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين – صلوات الله عليهم أجمعين – سوقاً ، وصرفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم ، فجعلكم – معشر الكتاب – في أشرفها صناعة ، أهل الأدب والمروءة والروية ، وذوي الأخطار والهمم وسعة الذرع في الأفضال والصلة .

بكم ينتظم الملك . ويستقيم للملوك : أمورهم ، وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم ،ويجتمع فيهم ، وتعمر بلادهم . يحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه ، والوالي في القدر السني من ولايته ، لا يستغني عنكم منهم أحد ، ولا يوجد كاف إلا منكم .. فنافسوا – معشر الكتاب – في صنوف العلم والأدب ، وتفقهوا في الدين ، وابدءوا بعلم كتاب الله – عز وجل – والفرائض ، ثم

العربية ، فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط ، فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم والكاتب بفضل رأيه ، وشرف صناعته ، ولطيف حيلته ، ومعاملته لمن يحاوره ويناظره ، ويفهم عنه ويخاف سطوته – أولى بالرفق بصاحبه ومداراته وتقويم أوده، من سائس البهيمة التي لا تحير جواباً ، ولا تعرف خطأ ولا صواباً ، إلا بقدر ما يصيرها إليه سائسها أو صاحبها الراكب لها ، فأدقوا – يرحمكم الله – النظر ، واعملوا فيه الروية والفكر ؛ تأمنوا ممن صحبتموه – بإذن الله – النبوة والاستثقال والجفوة ، ويصيروا منكم إلى الموافقة ، وتصيروا منهم إلى المواساة والشفقة ، إن شاء الله تعالى " .

التعليق:

بدأت الرسالة بالدعاء ، فورد فيها بعد لفظة البعدية وهي (أما بعد) ، قوله: "حفظكم الله ، يا أهل صناعة الكتابة ، وحاطكم ووفقكم وأرشدكم " . ومثل هذه الأدعية في الافتتاح أو في الاختتام ، وربما في ثنايا الفصول ، إنما هو رسم متبع ونهج معروف في فن الرسائل ، والبليغ من يحسن هذه الأدعية ويربط بينها وبين غرض رسالته .

ويأتي **غرض الرسالة** حيث خاطبت الكتاب – منذ البداية – فبينت لهم أن الله – تعالى – جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين والملوك والمكرمين أصنافاً ، وجعل " معشر الكتاب أشرف الجهات ، أهل الأدب والمروءة والعلم والرواية " ، بهم تمشي أمور الدولة وتنفذ ، ولا يستغني الحاكم عنهم .

والملحوظ أن عبد الحميد تحدث عن الكتاب ، وكأنهم قد أصبحوا طائفة ،لها صناعتها ،ولها إمامها الذي يوجهها ، ويرسم لها الدستور الذي ينبغي أن تسير وفقه، ويفصل لها القول فيما تتبعه ، وفيما تتجنبه ، لترقى بصناعتها .

وقد انتهى هذا الفصل من الرسالة بلفظ المشيئة ، وهو "إن شاء الله تعالى" وهو مما تختتم به الرسالة أو بعض أجزائها، وعلى ذلك كانت عادة القدماء .

وقد عني عبد الحميد في أسلوب الرسالة بانتخاب ألفاظه ودقة معانيه ، شأنه شأن كل بليغ يحرص على جودة الصياغة وحسن الأداء ،

ولم يكن يحتفل بالسجع ويلتزمه ، ولكنه كان ممن يميلون إلى التوازن بين العبارات والألفاظ ، ويستعين بالترادف والتكرار والتقابل . وقد لجأ الكاتب إلى التصوير ومن ذلك أنه شبه صنيع الكاتب في سياسته وحسن تصريفه وإحكام حيلته بصنيع من يسوس الدابة الجموح المستعصية .

وهكذا توفر في رسالة عبد الحميد الكاتب نموذج الرسالة المتكامل ، من افتتاحية ومقدمة وعرض وخاتمة ، كل ذلك عبر أسلوب رصين متين ، يتم عن خيال واسع وثقافة لغوية جعلته يمسك بناصية اللغة ، ويطوعها كيفما شاء .

محاضرة: الحكاية في كليلة ودمنة

يعد كتاب كليلة ودمنة كتابا قيما يدرج ضمن الثقافة الإنسانية، وذلك بتصويره لحضارات مختلفة، بواسطة الانفتاح على الثقافات الأخرى والترجمة، فقد كانت تسمى في الهندية **بانج تنتارا**، وبعدها ترجمت ألى الفارسة ثم العربية ، وبعدها إلى عديد اللغات.

يصف النقاد هذا الكتاب بأنه حكمة الهند، وجهد الفرس، لأنهم نقلوه إلى بلاد فارس، وهو لغة العرب باعتبار ابن المقفع نقله إلى العربية في منتصف القرن الثاني للهجرة في عهد أبي جعفر المنصور، وقد اتسم هذا العصر بالاضطرابات وسوء الإدارة.

أصل الحكاية:

كان هناك ملك ببلاد فارس اسمه كسرى أنو شروان، ملك مثقف راجح العقل رصينه، سمع بكتاب يرشد الحكام ويدلهم إلى الطريق السوي، بأسلوب ظريف تنطق فيه الدواب بجواهر القول، فقرر ارسال أحد علمائه لينسخ الكتاب ويستفيد منه، فلم يجد غير الطبيب برزاويه فأرسله، وهنا انتقل الكتاب من الهندية إلى الفارسية التي اجتهدت في ترجمته، ثم نقل إلى العربية بواسطة ابن المقفع، وقام بإضافة باب فيه وهو باب الفحص عن أمر دمنة، ومضمون هذا الباب هو القصاص من دمنة، حيث يصور فيه ابن المقفع واقع الحياة في عصره.

تخفى ابن المقفع وراء أقنعة الحيوانات من أجل نقد الواقع في عصره، فشكلل قصصا متشابهة البناء ثرية الأسلوب.

رمزية الحيوانات في كتاب كليلة ودمنة:

الشخصية القناع	الوجه الذي تخفيه
الأسد	الملك /السلطان/الخليفة
أنثى الأسد	الملكة
بنات آوى (كليلة ودمنة)	السياسي الانتهازي/الفتان/الخائن
الثور (شتربة)	الإنسان المسؤول الأحمق المتسرع
الخنزير	الفاسد/المسؤول /المرتشي
القملة	الإنسان الضعيف/البسيط
البرغوث	الإنسان اللئيم الناكر الجميل
الحمامة	القائد/ المسالم/المحب

وغيرها من الحيوانات التي تحمل دلالات إنسانية مختلفة.ابن المقفع فعل ذلك من أجل :

-الأخذ إلى العالم العجائبي.

-الترفيه عن القراء وامتاعهم.

- التهرب من حساب الحكام.

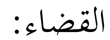
-فضح قضايا الواقع، رغبة في التغيير وتعديل السلوكات.

القضايا التي نقدها:

السياسة: وذلك بالتذكير بصفات المسؤول الصالح والأمين

الرصانة قبل اتخاذت القرارات، وعدم التسرع.

فساد السلطة: تتمثل في عدم استقلالية قرار الحاكم، وتدخل الأسرة في شؤون الحكم.



القضاء:

-فساد القاضي

-شهادة الزور

-قضاء غير مستقل

-قضاء غير محايد

-إدانة المتهم قبل جمع الأدلة.

القضايا الأخلاقية:

نبذ الرذيلة والسلوكات الناقصة

الدعوة إلى الكرم والوفاء

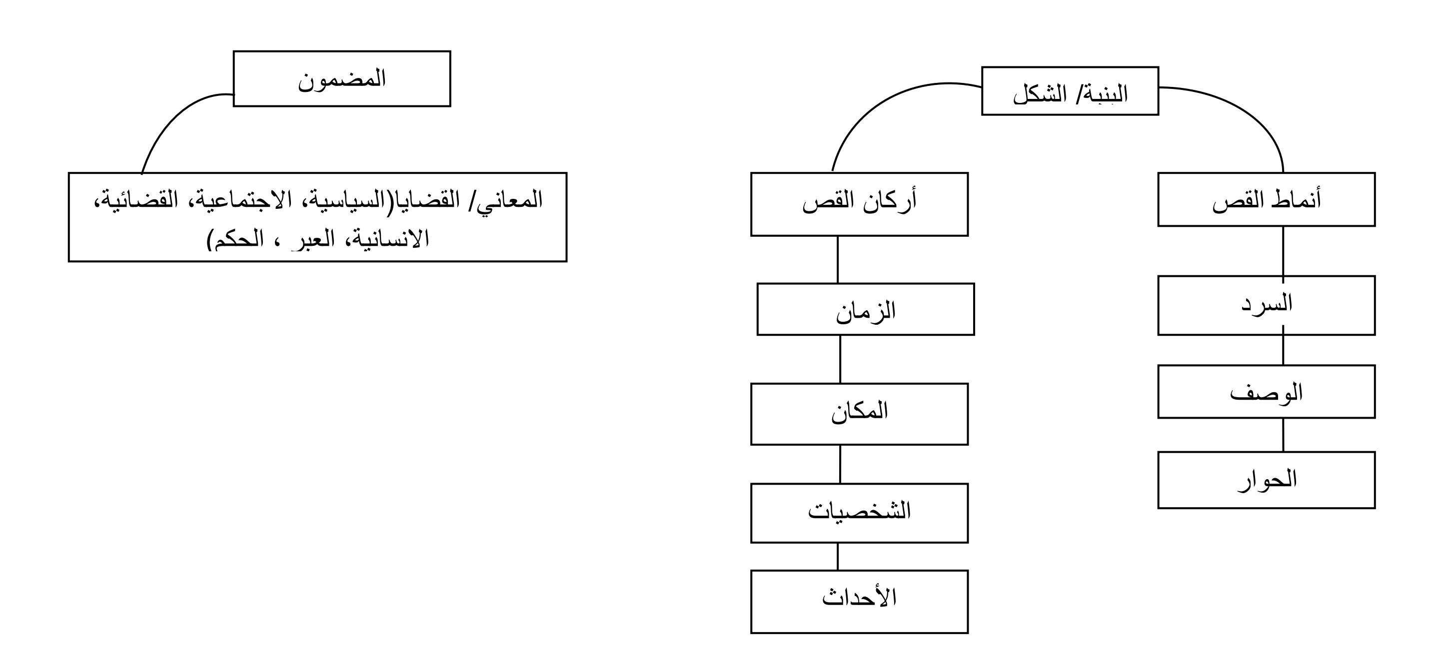
التذكير بعواقب الوشاية والزور

الصداقة والصديق الحقيقي، وضرورة التضامن والتآزر.

الدعوة إلى التغيير وذلك بإعطاء أمثال وحكم لذلك يسمى هذا النوع بالحكاية المثلية.

بنية الحكاية في كليلة ودمنة:

الحكاية في كليلة ودمنة



للاستزادة يرجع الطالب إلى كتاب كليلة ودمنة لاستخلاص هذه العبر من النماذج القصصية.مثلا نص من باب الأسد والثور.

محاضرة: فن المقامات والمنامات

المقامة في اللغة تعني المجلس أو النادي أو المجموعة من الناس[1] ، وظلت بهذا المعنى حتى في الجانب الاصطلاحي فهي قصة تدور أحداثها في مجلس واحد[2]، وظلت هذه الكلمة تستخدم في الشعر والنثر بهذا المعنى حتى القرن الرابع الهجري، وذلك على يد بديع الزمان الهمذاني ومن سبقه طبعا[3]، ولكنه كان العلم الذي كلما ذكرت المقامات ذكر.

إنها قطعة من النثر الفني على صورة حكاية قصيرة يرويها شخص خيالي واحد لا يتغير وهو عيسى بن هشام، وبطلها خيالي وهو أبو الفتح الإسكندري[4]، إنها لون حمل في طياته بذور القصة ، بأن عالج الواقع بشكل فكاهي ناقد في قالب ساخر.

الغرض من هذا اللون:

- تعليم الناشئة واطلاعهم على أساليب اللغة واكتسابها.
- تبيان البراعة اللغوية لهؤلاء المؤلفين من خلال براعة القص و السرد.
- القصد إلى التشويق والترغيب .
- والقصد الضمني هو التغيير والاصلاح، والتقويم الفكري[5] من خلال النقد الساخر الفكاهي.

عناصر فن المقامة:

الراوي:المتحدث الذي يبدأ بعملية السرد وفي مقامات بديع الزمان هو عيسى بن هشام، وينتمي إلى الطبقة الاجتماعية المتوسطة.

---

1 – الخليل بن أحمد ،الفراهيدي، معجم العين، تح عبد الحميد هنداوي، دارالكتب العلمية ، بيروت، 2003، مادة قوم.

2 – ينظر: البستاني، أدباء العرب، ج2، ص389.

3 – ينظر : القالي ف الأمالي فقد بين أن أصولها تعود إلى أحاديث ابن دريد،وهي أربعون حديثا، ج1،ص38 وما بعدها.وينظرالحصري، زهر الآداب، دار الجيل ، بيروت،ط4،دت، ج1،ص305.

4 – ينظر: مصطفى الشكعة، بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1971، ص244.

5 – ينظر: راكان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، وزارة الثقافة دمشق، 2011، ص149.

البطل /المكدي:وهو ما تدور حوله المقامة والمكدي هو الذي يحتال بطريقة ذكية ليجني المال وهناك من يرى أن المكدي هو المتسول.

النكتة/العقدة: هي الموضوع الذي تدور حوله المقامة، فهي تسعى لتوضيح الموضوعات المختلفة بشكل فكاهي ساخر .

لقد كان بديع الزمان أول من أطلق اسم المقامات على العمل الأدبي من إنشائه وقد لاقت مقاماته قبولا في نفوس معاصريه، وأظهر قول القلقلشندي: (واعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات علامة الدهر وإمام الأدب البديع الهمذاني) [1].

1- مقامات بديع الزمان الهمذاني:

تتميز مقامات بديع بأنها قصيرة على الأغلب وفيها من الفصاحة والسهولة والوضوح إلى جانب الدعابة والمرح والتهكم وبديع الزمان حسن الابتكار قل أن تجد له مقامتين في معنى واحد وهو يجيد في مقاماته السرد والوصف الحسي والتحليل ويحسن دراسة الطبائع وتصوير المعائب وعرض مساوئ المجتمع غير انه لا يقصد إلى إصلاح هذه المساوئ ينصح أو يردع وإنما غايته التهكم بأصحابها واضحاك الآخرين بتصويرها واستعراضها وهو كثير الاحتقار للناس [2].

و أسلوب بديع الزمان في مقاماته خاصة حلو الألفاظ سائغ التركيب جميل الوصف كثير الصناعة المعنوية (الاستعارات والكنايات والتورايات الخاصة) من غير تكلف ولا إغراق في السجع.

و المقامات الخمسين التي بدأ بديع الزمان كتابتها منذ عام 375 ه راوٍ واحد هو عيسى بن هشام وبطل واحد هو أبو الفتح الاسكندري نسبة إلى الإسكندرية التي هي قرب الكوفة على الفرات وهما شخصيتان تاريخيتان، ومن أشهر مقاماته هما: المقامة المضرية والمقامة البشرية.

---

[1] - حسن عباس، نشأة فن المقامات

[2] - الهمذاني، مقامات بديع الزمان الهمذاني

أما المقامة المضرية فتظهر فيها براعة البديع في الوصف ودقة التصوير على شيء كثير من السخرية وخفة الروح أما المقامة البشرية فهي وفق بها بديع الزمان الاختراع شاعر جاهلي تبناه التاريخ من بعده الا وهو بشر بن عوانة العبدي [1].

نشأة هذا الفن:

إن أول من قام بصياغة هذا النوع الأدبي هو بديع الزمان الهمذاني وهو مبدع المقامات [2]غير أن هناك تباين في الآراء بين النقاد والباحثين في اعتبار الهمذاني مبدع لهذا الفن الأصيل بحيث يعتقد جرجي زيدان إن بديع الزمان اقتبس أسلوب مقاماته من رسائل إمام اللغويين أبي الحسين احمد بن فارس (390) هـ [3].بينما يعتبر الدكتور زكي مبارك مقامات الهمذاني مشتقة من أحاديث بن دريد (321) هـ، ويرى بين مقامات الهمذاني وأحاديث بن دريد مشابهات قوية من حيث الحبكة القصصية واستخدام السجع به.

و على كل فإن بديع الزمان لم يكن مبدع فن المقامات فإن مقاماته أقدم ما وصل إلينا من هذا الفن الأدبي الرائع ثم تبعه عدد كبير من الكتاب القدامى والمحدثين فكتبوا في هذا الفن من أبرزهم الزمخشري وجلال الدين السيوطي عن المشارقة والسرقسطي من الأندلسي أما المحدثين فأهمهم اليازجي والمويلحي.

والغرض من المقامة هو التعليم ولهذا سماها بديع الزمان مقامة وليست قصة أو حكاية أما بعض الباحثين يرى أنها نوع من القصص إلا أنها ليست قصة بالمعنى الكامل إلا أنها تشتمل على عناصر قصصية من حيث الحوار والمضمون والتصوير لعناصر الشر والفساد وبالإضافة إلى احتوائها على كلمات لغوية جعلت من المقامة تتجه نحو البلاغة اللفظية إذ أن القصة ليست الأساس وإنما

---

[1] – البستاني، أدباء العرب، ج 2، ص 390- 394

[2] – المصدر السابق، ص 389

[3] – مبارك زكي، النثر الفني في القرن الرابع، ص 197

الأساس هو العرض الخارجي والحلية اللفظية لذا فإن بعض الأدباء اخذوا يبتكرون صورا جديدة للتعبير ولكن في حدود وغالبا ما تتصف المقامة بالشحاذة والكدية.

و في الآداب العالمية نجد المقامة مثل مقامة القاضي حميد الدين أبو بكر البلخي باللغة الفارسية وفي أوروبا وجود قصص ممثلات لبعض القصص الاسبانية بطلا واحدا اسمه بيكارون وهو يشبه من بعض الوجود أبو الفتح الاسكندري عند بديع الزمان وأبو زيد السروجي عند الحريري [1].

[1] – البستاني، أدباء العرب، ج 2، ص 428

من هو: بديع الزمان الهمذاني؟

أبو الفضل أحمد بن يحيي بن سعيد الهمذانى، المولود فى''همذان''سنة 358هـ، ولقد امتازت مقاماته بتقديم صورة شاملة لواقع البيئة التى كان يعيش فيها، فأحيانا ينقد سلبيات المجتمع، أو يمدح الملوك، أو يرصد الفقر الذى كان منتشر فى عهده.

أما أشهر مقاماته فهما''المقامة المضيرية، المقامة البشرية''، أما المقامة المضيرية فتظهر فيها براعته فى الوصف ودقة التصوير، بالإضافة إلى السخر وخفة الروح، أما البشرية فهي التي وفق فيها لاختراع شخصية ليس لها وجود وتبناها التاريخ من بعده وهى ''بشر بن عوانة العبدى'' الشاعر الجاهلي.

جزء من مقامة البشرية

حدثنا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ بِشْرُ بْنُ عَوَانَةُ العَبْدِيُّ صُعْلُوكاً. فَأَغَارَ عَلَى رَكْبٍ فِيهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، فَتَزَوَّجَ بِهَا، وَقالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَومِ، فَقالَتْ:

أَعْجَبَ بِشْراً حَوَرٌ فِي عَيْنِي ... وَسَاعِدٌ أَبْيَضُ كَالُّلجَيْنِ

وَدُونَهُ مَسْرحَ طَرْفِ العَيْنِ ... خَمْصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَينِ

أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيَنِ ... لَوْ ضَمَّ بِشْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي

أَدَامَ هَجْرِي وَأَطَالَ بَيْنِي ... وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي

لأَسْفَرَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ قَالَ بِشْرٌ: وَيْحَكِ مَنْ عَنَيْتِ؟ فَقَالَتْ: بِنْتَ عَمِّكَ فَاطِمَةَ، فَقالَ: أَهِيَ مِنَ الحُسْنِ بِحَيْثُ وَصَفْتِ؟ قالَتْ: وَأَزْيَدُ وَأَكْثَرُ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

وَيْحَكِ يَا ذَاتَ الثَّنَايَا البِيضِ ... مَا خِلْتُنِي مِنْكِ بِمُسْتَعيضِ

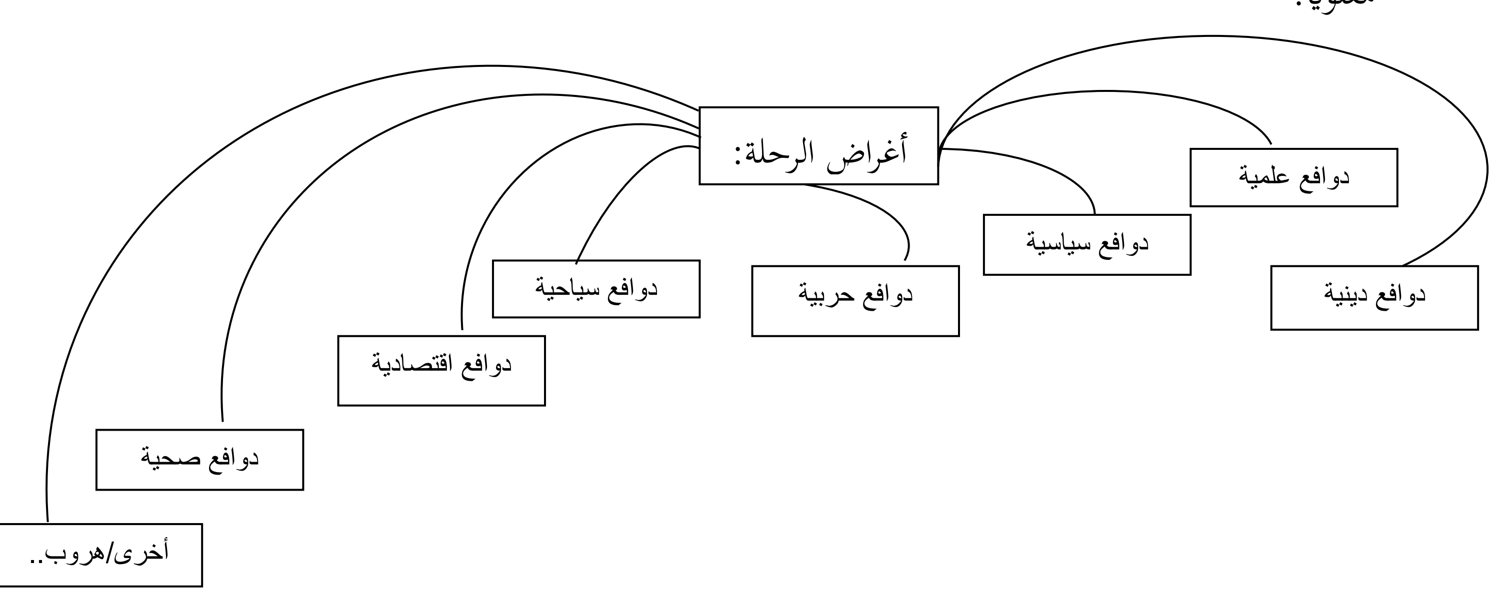
فَالآنَ إِذْ لَوَّحْتِ بِالتَّعْرِيضِ ... خَلَوْتِ جَوّاً فَاصْفِري وَبِيضي

لاَ ضُمَّ جَفْنَايَ عَلى تَغْمِيضِ ... مَا لَمْ أُشَلْ عِرْضِي مِنَ الحَضِيضِ

محاضرة أدب الرحلة

يُطلق مفهوم أدب الرحلات على ذلك النوع من الفنون الأدبيّة الذي يهتمّ بالانطباعات الصادرة عن المؤلف من خلال ما يقوم به من رحلات إلى البلدان على اختلاف الغايات التي حدثت من أجلها هذه الزيارات، ويترك هذا الفن من الفنون الأدبيّة لدى القارئ انطباعًا عن الآثار التي يحتوي عليها المكان الذي يتم زيارته من خلال توثيق ذلك في النصّ الأدبي لينتج ما يعرف بالآثار الأدبية، كما يصف الكاتب في مؤلفات هذا النوع من الفنون الأدبية ما تقعُ عليه عينه من تصرفات الناس وعاداتهم وما هم عليه من سلوكيات في التعامل مع من يقابلهم، كما يأتي على ذكر الأحوال المعيشيّة والأنماط الاجتماعية والاقتصادية للبلدان التي يتم زيارتها، كما كان لأدب الرحلات دور هام في الدراسات التاريخية المقارنة.

الرحلة تعني: الارتحال، انتقال إلى مكان آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أم معنويا.



أدب الرحلات قديمًا وحديثًا:

كان أدب الرحلات فيما مضى مرتبطًا بالرحالة المسلمين، حيث كانوا يعمدون إلى تدوين رحلاتهم سواء كان ذلك برغبتهم الشخصية، أم برغبة أصدقائهم، أو لما يطلبه الحكام من الرحالة الذي يصلون إلى أماكن بعيدة، وكانت هذه المؤلفات تُفيد في إرشاد الناس عند وصولهم إلى المدن التي كُتبت فيها مدونات الرحالة، فتكون هذه المدونات بمثابة دليل لهم، أما في العصر الحديث فقد تغيرت العديد من المفاهيم المرتبطة بهذا النوع من الفنون الأدبية، وأصبح يُطلق عليه في بعض الأحيان الأدب السياحي.

وقد عملت بعض الظروف على تراجع هذا النوع من الفنون الأدبية بسبب سهولة الترحال واكتشاف المناطق وتوثيق كل ما يختص بها علميًا بأسلوب مرئي أو مكتوب أو مسموع.

ومن الصفات الحميدة التي يتصف بها الرحالة المسلمون:

-الصدق والأمانة في الأخبار التي يروونها، وفي وصفهم للمناظر والمشاهدات والحوادث.

- الذكاء وسعة الأفق.

-عمق التفكير، وإعمال الذهن في التأمل والموضوعية، وعدم التحيز.

-حب البحث والتمحيص والنقد والتحليل.

اهتمامات الرحالة العرب في رحلاتهم:

1- ما يتصل بالرحلة في حد ذاتها من الاستعداد لها وتجهيز الخرائط وذكر صعوبة الرحلة
2- اضطر بعض الرحالة إلى التجارة للإنفاق على رحلاتهم، فراقبوا الاقتصاد وتحدثوا عن المراكز التجارية وعن الصناعة والزراعة.
3- اهتموا بطبائع الناس وطبقاتهم، وألوانهم وانتماءاتهم وصفاتهم ولغاتهم.
4- تحدثوا عن علماء البلدان التي سافروا إليها، وعن مدارسها وأدبائها وأطبائها وعمرانها.
5- صوروا الطبيعة بتضاريسها من جبال ووديان وهضاب وما إلى ذلك.

أسلوب كتابة الرحلة:

يتميّز هذا الفن الأدبي عن غيره من الفنون الأدبيّة الأخرى بوجود من مجموعة من الخصائص، وتجلّت هذه الخصائص فيما ورد عن أدباء الرحلات من مؤلفات كتبوها عند زيارتهم لبعض البلدان، ومن أهم هذه الخصائص ما يأتي:

- الاعتماد على الحوار.
- استخدام الأسلوب القصصيّ.
- الاعتماد على الوصف بشكل كبير لإيضاح تفاصيل الأماكن التي يتم زيارتها.
- خلط الجدّ بالهزل وشيوع عنصر الفكاهة في النصوص الأدبية للرحلات.
- تضمين الشعر وبعض آيات القرآن الكريم في نصوص الرحلات ليتمّ من خلالها التأكيد على ما يصفه الكاتب.

كتب أدب الرحلات

- هناك العديدُ من المؤلفات التي تناولت أدب الرحلات، حيث عمد مؤلفوها إلى ذكر صفات مجموعة من البلدان التي تمت زيارتها من قبلهم، ولعل أقدم الرحلات رحلة التاجر سليمان السيرافي بحر في المحيط الهندي في القرن 3هـ ، ورحلة سلام الترجمان إلى حصون جبال القوقاز عام227هـ بتكليف من الخليفة العباسي الواثق للبحث عن سد يأجوج ومأجوج ، ثم تأتي رحلات كل من المسعودي مؤلف كتاب **مروج الذهب**، والمقدسي صاحب **كتاب أحسن التقاسيم ومعرفة الأقاليم**، والإدريسي الأندلسي **في نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** .

ومن أهم كتب هذا الفن الأدبي أيضا نذكر ما يأتي:

- **عجائب البلدان**: لأبي دُلَف الينبوعي الذي ولد في عام 305 هجري وتوفي عام 385هجري.
- **المعرب عن بعض عجائب المغرب**: لأبي حامد الغرناطي الذي ولد عام 473 وتوفي عام 565هجري.

- **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**: للقزويني الذي ولد عام 605 هجري وتوفي عام 682هجري.
- **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**: لابن الوردي الذي توفي 749هجري.
- **تحفة النظّار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار**: لابن بطوطة الذي ولد عام 703 وتوفي عام 776هجري، ويعد هذا الكتاب من أشهر الكتب لأدب الرحلات والذي روى فيه كاتبه ما شاهده في بلدان القارة الإفريقية، كما بيّن في هذا الكتاب العديد من العادات في المجتمع الهندي بعد ثلاث قرون من الفتح الإسلامي لها.
- وكذا كتاب البيروني(ت440 هـ) . **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، إذ يعتبر نموذا فذا ووثيقة تاريخية تجاوزت الدراسة الجغرافية والتاريخية إلى دراسة الثقافات في الهند القديمة مقارنا إياها بالثقافة العربية.

للاستزادة ينظر:

-الرحلة في التراث العربي فؤاد قنديل.

- الرحلات شوقي ضيف.

- أدب الرحلات حسين محمد فهيم